(٩)

السياسة والإنسانية

فن الحكم.. والعمل الخيري

السياسة والإنسانية

فن الحكم.. والعمل الخيري

صـديقكم أو صاحبكم - موضوع الكتاب - (مدرسة في فن الحكم)[١].

ولفن الحكم هذا - عنده - جذور ومنابع ومصادر نذكر منها:

١- الموقع الجغرافي ف(الرياض) هي (قاعدة الانطلاق والتأسيس).

- فمن الرياض بدأ الملك عبدالعزيز تأسيس الدولة السعودية الثالثة.. ثم أخذ يبني - على هذا الأسـاس المتين - هذه الدولة الكبيرة: المملكة العربية السعودية.

والرياض - مـن جانـب آخر - عاصـمة لدولـة تنتظم في أرجائها (أقدس) المواقع الجغرافية وأشـرفها: مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ومعـروف في الفكر السياسـي أن للموقـع الجغرافي - من حيث هو - أثراً عميقاً في الساسـة، فكيـف بموقع جغرافي هو عاصمة بلد: جغرافيته (وعاء للحرمين)؟

---

(١) على مستوى صلاحياته ومسؤولياته كحاكم إداري للرياض وبمقتضى مواهبه وخبراته ومشاركاته العامة على الصعيد الوطني.

كيف بموقع جغرافي - مكة والمدينة - لا تُؤَدَّى فريضة الحج إلا فيه، ولا يتوجه المسلمون جميعاً في صلاتهم إلا إليه (الكعبة المشرفة)، ولا يوجد مسجد النبي ومثواه - صلى الله عليه وسلم - إلا فيه؟

إن لهذا الموقع الجغرافي المتميز أثره العميق في تكوين الفكر السياسي عند سلمان.

ولسنا نجد من يعبر - بدقة ووضوح - عن هذا الأثر الأصيل الجميل في نفسه إلا سلمان نفسه.. يقول: «نحن السعوديين بشرٌ كسائر البشر في الأمور العادية، وخصوصيتنا الحقيقية هي أن أرضنا مهبط الوحي وموئل الحرمين، ومنطلق الرسالة، ومهاجر رسول الله عليه الصلاة والسلام».

ولا شك في أن لهذا التفكير والشعور دوره القوي في (فن الحكم) عنده.

٢- المنبع الثاني لفن الحكم عنده هو التاريخ: التاريخ العربي الإسلامي.

لقد نشأت - بمجيء الإسلام - حضارة عربية إسلامية عالمية: بمعنى أن نورها ومعارفها وعلومها وفنونها شملت العالم كله تقريباً.

من أين انبثق نور هذه الحضارة؟

حقائق التاريخ الموثق تقول: إنه انبثق في أوائل القرن السابع الميلادي من هاهنا: من هذه البلاد.

وهكذا، لا يُكتب تاريخ دولة إسلامية ولا تاريخ تحفيظ القرآن ولا تاريخ الفتوحات ولا تاريخ تدوين السنة.. ولا تاريخ نهضة التنوير الكبرى في التاريخ البشري.. و.. و. لا يكتب تاريخ من هذه التواريخ إلا وهو مرتبط بتاريخ الإسلام الذي تكونت وقائعه الأولى التطبيقية هاهنا: فوق هذه الأرض.

إن هذا التاريخ رافد من روافد الفكر السياسي (الذي هو قاعدة فن الحكم) عند سلمان بن عبد العزيز.. ومما زاد هذا الرافد ثراءً وتدفقاً شغفُ سلمان بـ(التاريخ) قراءة وإدراكاً وتمثّلاً.

٣- المنبع الثالث لفن الحكم عنده هو (المنهج): منهج الإسلام.

فمنهج الإسلام - الكتاب والسنة - أثمر علماً غزيراً أصيلاً عُرِف - اصطلاحاً - بـ(السياسة الشرعية).

وخلاصة السياسة الشرعية هي: رعاية مصالح الناس وتنميتها وتطويرها - في كل عصر - بمقتضى قواعد الشريعة ومقاصدها.

وهذه سياسة استوعبها صاحبنا واستصحبها دوماً وهو ينظر في مصالح الناس ويرعاها ويبتّ فيها.

وهي سياسة أورثته (فن الحكم) في إدارة شؤون منطقته.

٤- المنبع الرابع لفن الحكم عنده (مباشرة المسؤوليات) بمعنى أنه يشرف بنفسه على الوقائع والأحوال والقضايا ويبتّ فيها[١].

(١) عدّ الماوردي هذه المباشرة: واحداً من واجبات الحاكم.

(أ)

فن الحكم

يتأسس (فن الحكم) على منظومة من الشروط الموضوعية والمقومات الشخصية.

وبدهي أن إحصاءها الآن أمر متعذر، ولذا يكتفى بإثبات مجموعة منها:

الشورى.

من الشروط الموضوعية لإدارة الحكم في الإسلام (الكلي والجزئي): إنفاذ مبدأ الشورى الذي انتظمته آيتان على هذا المستوى[1]:

أ- ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ... ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى: ٣٨]..

ب- ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

في ضوء هذا نص النظام الأساسي للحكم على أن (الشورى) قاعدة من قواعد الحكم.. وهذا هو نص المادة ٨ من النظام «يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية».

---

(١) أي: مستوى الحكم، وإلا فإن الشورى ينبغي أن تكون نافذة في كل شأن: كشأن الأسرة مثلاً: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا..... ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]..

ولسلمان (فن) في الشورى.

من المكونات الأساسية لشخصيته أنه (صاحب رأي)، وقد تَأتَّى له ذلك من أنه يحدّق ببصره ووعيه في كل شأن ويفكر فيه ملياً، ويربط الشأن الجاري بسوابق وأمثال تشبهه، ويفتح عينه على أمهات المسائل وهو يفكر في هذا الشأن أو ذاك.. ورجل يفعل هذا لا بد من أن يكون (صاحب رأي).

والرأي المعتبر ليس أي رأي وإنما هو: (الرأي الذكي اللماح، الخصيب، الحصيف، السديد).

ولذا كانت العلاقة بين الرأي السديد وبين الشورى أوثق ما تكون: في المنشأ، والموضوع، والوظيفة، والهدف. فهو قوامها وغذاؤها، وهي وعاؤه ومجاله ومرآته.

وإنه لمن جلال الحكمة والهدى والتشريع أن يصطفي الله لغة العرب وعاء لكتابه، وأن يجتبي (مفردة الشورى) من لسان العرب؛ لتكون اجتناء وقطفاً للرأي ومتنفساً له وتداولاً فيه.

إن الشورى في لسان العرب ليست مجرد رأي، بل هي الرأي الناضج الخبير النافع المفيد، فـ(شار العسل): اجتناه أو اجتنى أحسنه من خلاياه ومواضعه[1]. وهذا كناية عن اجتناء

(١) ابن منظور: لسان العرب جـ ٢ ص ٣٧٩-٣٨٠.

وقطـف أثمن وأرقى وأذكى وأنفـع وأعظم ما في عقول الرجال والنساء من آراء، قطف ذلك عن طريق (الشورى).

أجل.. وللرأي - من ثم - مقومات من أهمها:

أ- العلم بالموضوع.

ب- المعرفة بالواقع المحيط.

ج- والخبرة الفنية.

د- وتحري المصلحة.

هـ - والتجرد من الهوى.

و- والتوازن الدقيق بين (التمسك) و (التخلي).. فليس من الحكمة أن يتشـبث المرء برأيه وكأنـه قطعة من جلده حتى وإن ظهر له ما هو أفضـل منه.. كذلك من الخفة أن يتخلى المرء عن رأيه بسهولة (خلع ثوبه)؛ فإن هذا دليـل على أنـه كون رأيه بطريقة متعجلـة، لا عمق فيها ولا روية.

ز- استحضـار المرجعية الهادية دوماً: توخياً للمنهج الذي يحكـم الآراء ووجهات النظر في كل شـأن: فيه للكتاب والسنة هدى.

- في ضوء هذا كيف يمارس سلمان بن عبدالعزيز (فن الشورى)؟

فيما يأتي أنموذجان - فحسب - مما يفعل.. والنماذج هي البديل الضروري للاستقصاء التام، ذلك أن هذا الاستقصاء يقتضي كتابة سيرته الذاتية كلها في هذا المجال.

من هذه النماذج:

- هو صاحب رأي - كما قلنا -.. ولكنه الرأي المتحرك المرن لا الرأي الجامد.

إنه يكوّن رأيه ويعتز به، ولكنه يتخلى عن رأيه إذا ظهر له ما هو أرجح منه[1].

- الشورى عنده فنون وصيغ متنوعة:

١- فن أخذ الآراء فرادى، بمعنى أن يعرف رأي الناس فرداً فرداً، ولهذا الفن قيمته ووزنه، فكما أن نسب الصواب ترتفع في الشورى الجماعية من خلال التداول وتقليب وجهات النظر وآلية التمحيص، فإن للرأي الفردي فضيلته ووزنه حيث يتمكن صاحبه من التجرد من الهوى والعُجب والمزايدة والرياء.

(١) الثناء بالحق على سلمان في هذا الكتاب لا يعني أنه معصوم من الخطأ، فمن العقائد الراسخة أن العصمة لا تكون إلا لنبي، وإيمانه هو نفسه بذلك راسخ جد راسخ.

٢- فن ممارسة الشورى عبر المجالس والهيئات التي يرأسها.

٣- فن الالتقاء بشخصين - مثلاً - يقدر أن لكل منهما رؤية مختلفة في موضوع ما.

وتتمثل عبقرية هذا الفن في أن هذا الاختلاف أو التنوع الثنائي في الرأي يتيح للمستمع - وهو صاحبنا - مساحة واسعة من المقارنة والقياس.. واكتشاف قوة الحجة التي تسند هذا الرأي أو ذاك.

٤- فن تكوين اللجان الشورية (العاجلة أو المؤقتة).. فحين يلتبس الأمر أو يشعر صاحب الحالة أو القضية بشيء من الغبن أو عدم الفهم، فإن سلمان بن عبدالعزيز يستعمل أسلوب هذا النوع من اللجان للبتّ في الأمر، أو لتكوين رؤية راجحة.. ولا شك في أن سلمان قادر على البتّ والحسم، ولكنه يختار هذا الأسلوب: إبراءً للذمة من جهة، وإمعاناً في تطمين صاحب المسألة أو الحالة من جهة أخرى.

الحزم

عرّف عدد من العلماء والفقهاء: السياسة الشرعية واختصروها في كلمة واحدة جامعة هي (الحزم).

والحزم نوعان رئيسان:

أ- الحـزم في القرار بعد الشـورى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[١].. وهذه حكمة عملية بالغة، فالشـورى تتحول إلى (مجرد نادٍ للكلام وارتفاع الأصوات) ما لم تقترن بعزيمة القرار.

ب- الحزم في (التنفيـذ) بعد اتخاذ القرار.. مثال ذلك أن النبي - صـلى الله عليه وسلم - شاور الناس في غزوة أحـد: أيبقون في المدينة ليردوا العـدوان أم يخرجون لملاقاة العدو خارجها؟.

ثم تقرر الخروج.. وشعر بعض الصحابة كأنهم أخطؤوا في اختيار أمرٍ غير الذي اختـاره النبي..هنالك.. حاولوا التراجع عـن رأيهـم، ولكن النبـي حزم فحسـم الموقف وهـو في طور التنفيـذ، إذ قال: «إنـه ليس لنبي إذا لبس لأمته[٢] أن يضـعها حتى يقاتل»[٣].. ومن معاني الحديث: أننا وقد باشـرنا التنفيذ فلا مجال للتردد.

والحزم من (فن الحكم) عند سلمان بن عبدالعزيز.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) عدة حربه.

(٣) رواه أحمد وغيره.

وهذه - على سبيل المثال - صور ثلاث من حزمه:

١- الحـزم فـي (إدارة العمـل) فهو يديـر مسـؤوليات الإمارة وشـؤونها بدقة وحزم شـديدين: لا يقبلان تسيباً ولا تسويفاً ولا تجاوزاً.

والحزم هو: خلاصة الإدارة الناجحة بلا شك.

إن الذاهـب للإمـارة، المتعامل معها، يلتقي بظاهرة تشـد الانتباه: ظاهرة النشاط المتوثب.. والحركة المحسوبة والنظام المضبوط.

ووراء هـذه الظاهرة عوامل كثيرة فـي مقدمتها الوعي بأن هذا (الحاكم الإداري) شـديد الحزم في إدارة العمل.. موفور الهيبة.. والحزم والهيبة قرينان دوماً.

٢- الحـزم (الأمنـي).. ولعل السـياق تهيأ لاستحضـار فقرة خاصـة بهذه القضـية وردت في فصـل (الإبـداع العمراني والحضاري).

تلك الفقرة هي: «ومن يعايش سلمان بن عبدالعزيز يكتشف فيه خصـائص وجوانـب متعددة، في طليعتهـا (الحس الأمني القـوي والعميق والمتوقد)، فهو قد يتسـاهل في هـذا الأمر أو ذاك مما يجوز التساهل فيه.

أمـا حيـن يتعلق الأمـر بـ(الأمـن): أمن النـاس.. والدولة والمجتمع فإنه لا يقبل في ذلك تسـاهلاً ولا اسـترخاءً ولا غض عين، بل يتحول من فوره إلى أسـد غضـنفر يزأر حول العرين، ويرد العادين على الأمن رد الغيور يد الجاني عن الحرم.

٣- الصورة الثالثة من حزمه: موقفه تجاه (الأمور السيادية)، فهو يتحدث بوضـوح وأريحية في قضـايا وموضوعات شتى، فإذا اقترب أحد من هذه (الأمور السيادية) فإننا نجد هذا الرجل يمارس (الحزم) في أعلى مسـتوياته.. نجده يقطـع - بلا ذرة واحدة من مجاملة - سياق الحديث ويطوي صفحته طياً حاسماً حازماً حتى لكأنه لم يعرفك ولم تعرفه!.

وهذا موقف سياسي ملؤه الصواب.

فدولة بلا أسـرار ولا تخوم سـيادية ينحجز عندها الكلام المباح: ليست دولة.

الأفق الخارجي:

ومن فن الحكم عنده أنه يمد طرفه إلى (الأفق الخارجي): العربي والإسلامي والعالمي.

فهو وطني لصيق جداً بوطنه وقضاياه، ولكن هذا الالتصاق الشـديد بالشـأن المحلي لا يحجب عينه عن الأحوال والشؤون الخارجية.

وللاكتراث الكبير بالشؤون الخارجية مصادرها ومقتضياتها العديدة عنده.. منها:

١- الموقع الجغرافي الخاص للمملكة العربية السعودية، (ففي هذه البلاد وحدها دون سواها (محج المسلمين وقبلتهم ومسجد نبي الإسلام ومثواه).

٢- الانفتاح العالمي الهائل الذي تعلمه أبناء الملك عبدالعزيز من والدهم المؤسس، ومنهم سلمان، فهذا الملك الكبير القدير لم يكن (انغلاقياً)، ولا تحد وعيه رؤية محلية محدودة، بل كان (شخصية عالمية) في رؤيتها ومسؤوليتها وحركتها وعلاقاتها.

٣- علاقاته الشخصية الواسعة والمتنوعة مع رؤساء دول ووزراء ومفكرين ومثقفين وإعلاميين: عبر العالم كله.

٤- تضلعه في التاريخ السياسي القريب: الإقليمي والدولي.

أ- يتحدث معك - مثلاً - عن الحرب العالمية الثانية وآثارها الأوربية والعالمية.

ب- ويتحدث عن سقوط إمبراطوريات وبروز أخرى.

ج- ويتحدث عن الحرب الباردة وصراعاتها المريرة.

د- ويتحدث عن الحركات والتيارات الشيوعية والقومية..و..و.

هـ- ويتحدث عن الصراعات العربية التي مزقت الوطن العربي: الصراعات السياسية والإعلامية والأمنية والعسكرية.

و- ويتحدث عن موجات الانقلابات العسكرية التي ارتجت بها المنطقة.

ز- ويتحدث عن القضية الفلسطينية وخباياها وعن مواقف أطراف عديدة تجاهها.

يتحدث عن ذلك كله مما حفل به التاريخ السياسي القريب، فتشعر بأنه (متخصص) في هذا المجال أو تشعر - على الأقل - بأنه خبير ومتابع راصد: محيط بالوقائع متمتع برؤية خاصة لها.

وفي علاقته بالشأن الخارجي: نذكر مَثَلَين اثنين يترجمان أو يرمزان إلى رؤيته وموقفه في العلاقات الخارجية:

١- موقف (الأمانة).

كنت أتحدث معه عن كتاب (لعبة الأمم) لمايلز كوبلاند.. وقلت له: إن كوبلاند يقول في كتابه هذا: «إنه هو الذي كتب خطاب جمال عبدالناصر المتعلق بصفقة الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا».. فأسرع يقول: «لا أعتقد أن ما قاله كوبلاند صحيح».

وهذا موقف أمين، بل هو موقف ربما تضمن دفاعاً عن رجل لم تكن العلاقة بينه وبين المملكة على ما يرام، بل كانت في أحيان كثيرة تتسم بالتوتر والخصومة.

٢- موقف (الوضوح والشجاعة).

كان في زيارة لفرنسا.. وكان من ضمن الأجندة: لقاؤه برؤساء الشركات الفرنسية.

وفي أثناء الاجتماع أبدى بعض الحضور من الفرنسيين عتباً على المملكة خلاصته: أنه لا يبدو أن هناك نصيباً لفرنسا في بلد تتمدد فيه المصالح والشركات الأمريكية.

ولفوره، وعلى بديهته، وبوضوحه المعروف، وشجاعته المعهودة رد على صاحب تلك المقولة فقال: «السعودية بلد ذو اقتصاد مفتوح، ومعياره في ذلك المصلحة والتنمية الوطنية، وهو بهذا المعيار يتعامل مع الجميع، ويتيح الفرص للجميع»، ثم ألقى القنبلة الدبلوماسية السياسية فقال: «إن الإنزال في النورماندي كان أمريكياً، وبهذا الإنزال تحررت فرنسا كما هو معروف في التاريخ السياسي، وبموجب هذا فإن فرنسا مدينة لأمريكا، وهي حالة لا توجد في المملكة».

فسكت القوم.

ومـن (فن الحكـم) عند سـلمان أنه يمارس (الشـفافية) الفكريـة والسياسـية وهو يحـاور (الأجانـب) الذين يطرحون الأسـئلة حول هذه القضـية أو تلك، سـواء أكانت هذه القضية أمنية أم اجتماعية أم سياسية.

لقد التقى بوفد من طلاب جامعة هارفارد الأمريكية بقيادة بروفسور في الجامعة نفسها.

ودار فـي اللقـاء حـوار رفيع وجـادّ، و (حـرّ) في الأسـئلة والأجوبة.

وهـذه - في الحقيقـة - (لوحة) من فن الحكـم، وددنا أن يشاركنا القارئ في مشاهدتها وتأملها.

ابتـدر سـلمان هذا اللقاء بقولـه: أنا جدّ مسـرور أن أراكم هنا في المملكة العربية السـعودية لكي تطالعوا الأمور والأشياء علـى حقيقتها وطبيعتهـا. وطالما قلت: إن المشـكلة في (عدم المعرفـة).. فمن يعرفنا على حقيقتنا لا مشـكلة معه قط؛ لأن معرفته هذه تقوده إلى فهم أوضاعنا.. ليس بالضرورة أن يوافق على منهجنا، ولكنه يتفهم أن لكل مجتمع خصائصـه وتقاليده وأعرافـه وقيمه وخياره الحضـاري-.. ولكل مجتمع - كذلك - حساباته في حركة تطوره.

أرحب بكم مرة أخرى، وأنا مستعد للجواب عن أي سؤال.

- قال البروفسور الذي يقود المجموعة الطلابية من جامعة هارفارد: يسرني أن أتكلم نيابة عن نخبة من طلاب هارفاد يزورونكم في صحبتي، وهم نسيج متنوع من الولايات المتحدة الأمريكية.. وأمريكا الجنوبية.. وأوربا.. وهذه (النخبة الدولية) من الطلاب يدرسون الأعمال، وسوف يصبحون في المستقبل في مواقع القرار في بلادهم، ولذلك جاؤوا لتخصيب معرفتهم بالتعرف على صنّاع القرار من أمثالكم، وبطريقة مباشرة.

- وكانت بداية الأسئلة الحوارية سؤالاً من طالب؛ إذ قال: لدي سؤال وهو: إن هناك موجة من التطرف في العالم العربي، وأود أن أعرف ماهي جهود المملكة العربية السعودية لمواجهة الإرهاب؟

- أجاب سلمان: نحن في طليعة دول العالم التي واجهت الإرهاب بطرق وتدابير عدة، منها: تدبير الحزم والقوة.. وتدبير تحكيم القضاء.. وتدبير المكافحة الفكرية والإعلامية. وإننا نبذل كل جهد مستطاع لاجتثاث الإرهاب بكل الوسائل المتاحة والفاعلة.. وعلى سبيل المثال: هناك مختصون يلتقون المعتقلين، ويتحدثون إليهم في محاولة لإقناعهم

بالعودة إلى الطريق الصـواب.. وقد أحرزنا نجاحاً ملحوظاً على هذه المستويات جميعاً.

وفي سـياق جهود مكافحة الإرهاب بجد ومسؤولية يمكنكم أن تعرفـوا - مثلاً- أنه منذ سـنتين عقد فـي المملكة العربية السـعودية مؤتمر عالمي تركز على مكافحة الإرهاب. وقد عقد المؤتمر فـي الرياض برعاية الملك عبدالله بـن عبدالعزيز.. كما يمكن أن تعرفوا أن لدينا (مركزاً دولياً) لمكافحة الإرهاب، وهو مركز نأمل من دول العالم كافة أن تتعاون معنا على تعزيز نشـاطه المتعدد المضامين والصور حيث إن المركز يصب في حماية الإنسانية كلها من شرور الإرهاب وآثاره المدمرة.

وأحب أن أقول بصـراحة: إننا ندين الأعمال الإرهابية كلها ونسـتهجنها؛ لأن الإرهاب يسـيء إلى الإسـلام.. وقد صدرت بيانات من كبار علماء المملكة ومشايخها تعتبر الإرهاب جريمة كبيرة ضد الإسـلام نفسه، بما في ذلك الإرهاب الذي وقع في الحادي عشر من سبتمبر في واشنطن ونيويورك.

وأزيدكم صـراحةً ووضوحاً فأقول: نحن نؤمن أن كل إنسان حـرّ في عقيدتـه، لا يُكره قط علـى عقيـدة لا يريدها. وهناك نصوص كثيرة حول هذه المسألة. كما أن هناك آية قرآنية تقول: ﴿آمَنَ الرَّسُـولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . . . ﴿٢٨٥﴾ [١]. فهذه الآية توجب على المسلمين الإيمان بالكتب والرسل السابقين، وألا يفرقوا بين رسل الله بمن في ذلك موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

المشكلة ليست في المصدر ولا في المنهج.. إنما المشكلة في (المتطرفين) الذين يفهمون الدين خطأ، ويطبقونه خطأ، سواء أكان هؤلاء المتطرفون مسلمين أو مسيحيين أو يهوداً.. وأقول لكم: إنكم سوف تعانون في يوم من الأيام من المتطرفين في المسيحية واليهودية.. فهؤلاء المتطرفون من مسلمين ويهود ومسيحيين يضرون بالبشرية كلها من حيث إنهم يجعلون العلاقة بين الأديان والأمم علاقات توتر ومشاحنات وصراع وعنف بينما أرادها الله علاقات تعارف وتراحم وسلام.

وأعود فأؤكد: أن هؤلاء الإرهابيين أساؤوا إلى الإسلام أكبر إساءة.

أنا مسلم.. وأؤمن بأن الإسلام هو دين الوسطية، فلا تطرف إلى اليمين، ولا إلى اليسار.. والإسلام كذلك دين رحمة ومحبة.. والرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما اضطهده

(١) البقرة: ٢٨٥.

قومه أمر الصحابة المؤمنين به بالهجرة إلى الحبشة التي كان يحكمها النجاشي، وكان يدين بالنصرانية، وقد عرف بالعدل، فاستضاف النجاشي أصحاب محمد وأكرمهم.

والتاريخ الموثق يخبرنا أن رسول الإسلام تحالف مع اليهود في المدينة، وتعاون معهم من خلال دستور مكتوب عرف - تاريخياً - بـ (وثيقة المدينة)[١].. والخلل في العلاقة جاء من اليهود الذين نقضوا الوثيقة، ولم يلتزموا ببنودها.

نحن ضد أي تعصب.. وأنتم تتذكرون اليسار الشيوعي الذي كان يقوم بجرائم إرهابية.. وتتذكرون أن أعمالاً إرهابية حدثت في اليابان وألمانيا ودول أخرى.

أنا لا أدافع عن إرهابيين يحملون أسماء إسلامية. فأنا مصنّف كعدو لديهم. ولكن أريد التنبيه إلى أنكم سترون متطرفين إرهابيين من أديان أخرى.. ومن حقكم علينا كشباب وصغار السن أن نوجه انتباهكم إلى هذه المعضلة المشتركة.

---

(١) من بنود هذه الوثيقة - على سبيل المثال -: «وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».. راجع (الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) للبروفسور محمد حميد الله.

- تدخل البروفسور فقال: إن كلام سموكم يتوافق تماماً مع أفكار هذه النخبة من شباب هارفارد.. ولدي سؤال من الجنس الناعم يقول: ما هي الخطوات التي اتخذتها المملكة لضمان حقوق المرأة في بلادكم؟

- قال سلمان: الإسلام هو منهاج المملكة. وهذا المنهاج يضمن حقوق المرأة: حق الحياة.. وحق التعليم.. وحق الكرامة.. وحتى العمل.. وهي حرة في مالها، لا يحق لزوجها أو غيره أن يسلبها هذا الحق بحال من الأحوال.. وهي حرة في مسألة اختيار زوجها: لا يحق لأحد أن يكرهها على أن تتزوج بمن لا تحب ولا تريد.

هذه كلها حقوق كفلها الإسلام لها، ولكنني أريد أن أعرف ما هو المقصود بالضبط من السؤال.. هل هو حقوق الانتخاب؟

- البروسفور: نعم.

- سلمان: نحن لنا ظروف اجتماعية خاصة.. وأريد أن أسألك - في هذه النقطة - سؤالاً واحداً محدداً وهو: الولايات المتحدة وهي دولة علمانية، أقصد أنها لم تقم على أساس ديني وإن كان المسيحيون فيها هم أغلبية الشعب.. وسؤالي هو: هل الدين المسيحي يمنع إعطاء المرأة حقها؟. متى أعطيت المرأة حقها في هذا المجال؟

- البروفسور: في وقت متأخر[١].

- سلمان: أنا سمعت - ولم أذهب إلى أمريكا في ذلك الوقت - أن السود لم يكن يسمح لهم بدخول بعض المطاعم والمرافق الأخرى.. لماذا لم تعطهم بلادكم حقوقهم في المساواة في بداية القرن العشرين؟.. قد يقال: ربما لو تم ذلك لحدثت حرب أهلية.. إنما ما قصدته لا يعني بحال من الأحوال المقارنةَ ولا الرغبة في تأخير الحقوق. وإنما المقصود هو: تقدير الظروف الاجتماعية وشبكة الأعراف والتقاليد التي ينبغي أن يتم التطور من خلالها وبمعالجة عاقلة لها: لا بالقفز المتهور عليها.

إن المرأة لدينا تعمل في كل المجالات: في الإدارة.. والطب.. والهندسة.. والتعليم.. والتجارة، وغير ذلك من المجالات والحقول.. وهذه وظائف وأعمال كانت ثمرة طيبة لـ(التطور المتدرج الهادئ).. وفي ضوء هذه التجربة الناجحة أقول: إنه ليس من المستحسن أن تقوم دولة فتصدم شعبها بقرارات ذات حساسية معينة.

---

(١) لم تعط المرأة الأمريكية حق التصويت في الانتخابات إلا بعد تعديل الدستور التاسع عشر في عام ١٩٢٠م، أي بعد إقرار الدستور الأمريكي بمئة وثلاث وثلاثين سنة (أقر هذا الدستور عام ١٧٨٧م).

لعلكم تعلمون أنه قبل ٥٠ خمسين سنة[١] لم يكن لدينا مدارس بنات، ولا بنية تحتية، ولا أي مظهر من مظاهر الحضارة والتطور الذي تشاهدونه الآن.. أمّا الآن فلدينا نساء مديرات لجامعات، على الرغم من أنه كانت هناك معارضة شديدة لتعليم البنات.. وكانت الوفود تأتي من كل أنحاء المملكة ترفض فتح مدارس للبنات. لكن اليوم يتسابق الناس في إرسال بناتهم للمدارس والجامعات.

إن ما أريد أن أقوله هو: أن التطور الطبيعي الهادئ المتتابع هو الممكن، وهو الأفضل في الوقت نفسه.. نعم.. من التقدم الصحيح الثابت الخطى أن يأتي كل شيء في وقته المناسب، بدليل أن مجتمعنا أصبح اليوم يتقبل أشياء كثيرة مفيدة لم يتقبلها قبل سنوات.. ومع ذلك، فإن الدولة حريصة على قيادة التطور بمعدلات تحقق المصلحة من جهة، وتتفادى الاضطراب والانتكاس من جهة أخرى.

واسمحوا لي أن أختم هذا الموضوع بالمثال الآتي الذي هو على مكتبي الآن :

إن الحقوق الشخصية للمرأة محفوظة.. ولدي اليوم أوراق تتعلق بامرأة تريد أن تتزوج من شخص ما، ولكن أهلها يرفضون ذلك.. وقد عرضت هذه القضية على المحكمة

(١) عام ١٣٧٩هـ نشرت (أم القرى) المرسوم الملكي بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات.

وأحالها القاضي إليّ - اليوم - بخيارين: إمّا موافقة أهلها وإمّا أن يزوجها القاضي بمن تريد: على الرغم منهم، وتمكيناً لها من ممارسة حقها الذي كفلته لها الشريعة الإسلامية.

- البروفسور: لدينا سؤال عن تيار الإصلاح. فقد سمع الطلاب كثيراً المثل الذي يقول: (في التأني السلامة).. وهذا يعني أن هناك اتجاهاً ينادي بالإصلاح، وتياراً آخر يدعو إلى الصبر.
- سلمان: ما هو الإصلاح؟.. يجب تحديد المعنى أولاً.. فكلٌ له رأيه في هذه المسألة.. وما يعتقده بعضهم إصلاحاً يعتبره البعض الآخر إفساداً.

ويهمني مسؤولية الدولة في هذا الأمر.. ومسؤولية الدولة هي المزج بين التيارين واستخلاص الأصلح من كل منهما.. وأنا لست منزعجاً من ذلك.. فالدولة منذ التأسيس تسعى إلى الأفضل اجتماعياً وفكرياً وسياسياً وإدارياً وحضارياً أنا لست من أنصار (الصبر الزائد)، ولا من أنصار (العجلة الزائدة).

إن الخير والمصلحة والحكمة تكمن في (خيار وسط) وهو: التطوير النشط الدائم دون جمود ولا تهور، دون بطء مميت ولا سرعة قاتلة.

■ وقلت منذ قليل: إن لكل دولة خصائصها وظروفها في المسارات الاجتماعية، وهذا ينطبق على الخيارات والوسائل السياسية أيضاً.. ولا بد من مواجهة هذه الأمور بوضوح شديد في زمن كثرت فيه شعارات الديمقراطية. وأنا لست ضد الديمقراطية التي يطبقها الآخرون، فمن خصائص السيادة والاستقلال لكل دولة أن تختار الصيغة السياسية التي تدير بها شؤونها، كما نص على ذلك ميثاق الأمم المتحدة، ولكن الديمقراطية بمفهوم معين ووحيد لها ليست (وصفة جاهزة) تصلح لكل مجتمع، ولكل دولة.. مثال ذلك أن الديمقراطية بمفهومها الغربي تعني - بالضرورة - تأسيس أحزاب متعددة. وهذا نمط سياسي اجتماعي لا يصلح لنسيجنا الاجتماعي.

أولاً: لأن هناك عيوباً جذرية ينطوي عليها النظام الحزبي. وأهله أنفسهم يشكون منه..

ثانياً: لأن هذه الحزبيات من شأنها أن تؤثر سلباً على الوحدة الوطنية التي هي أعز ما نملك بعد توحيد الله عز وجل.

والبديل المناسب للديمقراطية - بمفهومها ذاك -، ليس الدكتاتورية، فالقرآن قد ندد بالاستبداد في كل صوره.. وإنما البديل المناسب هو (الشورى).

نحن متفقون على (مبدأ مشترك) لا خلاف فيه وهو: رفض الاستبداد بالرأي والقرار في إدارة شؤون الدولة. وإذا

كان هـدف الديمقراطية هو (منع الاستبداد)، فإن على رأس أهداف الشورى عندنا: هدف (منع الاستبداد) أيضاً، فلا قرار إلا بعد الشورى.. فقد جاء في القرآن: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٩]. فهذا أمر للنبي، ولكل حاكم مسلم بعده أن يشاور الأمة في الأمر، ولا يستبد برأيه وقراره.

وتطبيقاً لهذا المبدأ نص دستور المملكة العربية السعودية أو النظام الأساسي للحكم فيها على إدارة شؤون الدولة بالشورى.

وهناك شيء آخر لا بد من الالتفات إليه في هذه القضية وهو أن آية الأمر بالشورى تحدثت في الوقت نفسه عما (بعد القرار) وهو (العزم).. ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٩] وهذا العزم - بالتعبير القرآني - يقابله البت أو التنفيذ بلغة الدساتير العادية.

فالقرار - بعد التشاور - لا بد له من سلطة مخولة تحمله وتطبقه، وتتحمل مسؤولية ذلك.

ولتوضيح الصورة علينا استعراض بعض التجارب الديمقراطية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مجالس نيابية، ولهذه الجمهورية رئيس ذو صلاحيات معينة، وكثيراً ما يحدث أن يختلف رئيس الدولة مع هذه المجالس التي تحاول

باجتهادها تعطيل صلاحياته، وعندئذ يستخدم الرئيس ما يسمى بـ (الفيتو) أو حق النقض، وهو حق كفله الدستور.

وهذه صيغة شرعت لأجل (حفظ التوازن) بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ولم تشرع - بطبيعة الحال - من أجل خدمة التسلط الدكتاتوري.

وهي صيغة لها جذور في نهج الشورى الإسلامية.. فلا قرار بلا شورى كما قلنا. ولكن بعد اتخاذ القرار الشوري يجب على الحاكم المسلم أن يمارس صلاحياته، ويباشر مسؤولياته التنفيذية دون تردد. وهذا ما يسميه القرآن بـ(العزم)..: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩]. ولهذا النهج صوره التطبيقية في تاريخ المسلمين السياسي.

ثم إذا كانت الديمقراطية (شأناً دنيوياً بحتاً)، فإن الشورى تجمع بين (الشأن الدنيوي) و(الشأن الديني)، مما يجعلها أقوى إلزاماً من الناحيتين: الدستورية والأخلاقية. فمن يهمل الشورى، يرتكب مخالفة دينية كبيرة تتمثل في معصية أمر الله بالشورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ..﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩]، إلى جانب أنه يرتكب مخالفة سياسية دستورية في حق الأمة بمقتضى القانون الإنساني العام.

وأحب أن تتأكدوا من شيء تاريخي وواقعي وهو أن المملكة العربية السعودية صديقة للولايات المتحدة صداقة

استراتيجية امتدت عشرات السنين، ونمت وتطورت مع مرور الأيام والاتصالات والتفاهمات وتبادل المصالح في ظل قيادات مدركة للأهمية الحيوية لهذه العلاقة لصالح البلدين.. والعبرة التي ينبغي أن تستقيها الأجيال الجديدة من أمثالكم هي أن العلاقة الوثقى بين البلدين نشأت ونمت وتطورت وتعززت في ظل نظامين سياسيين مختلفين.. بمعنى أن المصالح الحيوية المتنامية المتبادلة لم تلزم أي طرف بتغيير نهجه الاجتماعي والسياسي[١].

(١) لهذا المفهوم السياسي الرحب السمح: أصل قرآني يهتدي به سلمان في المعرفة والتطبيق. وهذا الأصل هو: «﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة:٤٨]... والمفهوم المعرفي والعملي لهذه الآية هو: أن الأسرة البشرية متنوعة في تشريعاتها وأنظمة حكمها وطرائق حياتها.

(ب)

مسيرة نصف قرن من الريادة

في العمل الخيري والإنساني

خمسون عاماً والذراع طويلة في البر والمعروف والإحسان

كان شعار هذا المبحث بَيْتَ شعر بدأ بجملة حسابية هي (خمسون عاماً).

فما معنى ذلك؟

معناه (تاريخياً): أن سيرته الصالحة -أي سلمان بن عبدالعزيز- في هذا الميدان قد بدأت أو تعززت قبل نصف قرن.

بدأت على إثر العدوان الثلاثي على مصر؛ إذ ترأس لجنة لجمع تبرعات المواطنين والهيئات وإرسالها إلى المتضررين من العدوان عام ١٩٥٦م.

وقد كتبنا - في مناسبة مواتية من قبل -: نقترح تكريم سلمان بن عبدالعزيز عالمياً: تقديراً لجهوده في (الكفاح النبيل) من أجل إسداء العون وتقديم الخير والبر للفقراء والمساكين والمتضررين وكل ذي حاجة ملهوف، وهذا هو موجز الاقتراح «لا يتم تمام الكلم عن الحضور الخارجي الصالح للبلاد حتى نسأل: أهناك (جائزة دولية للعمل الصالح)؟.. إننا نقترح إيجاد هذه الجائزة، ونقترح أن تمنح لأطول الناس ذراعاً في العمل الصالح، وأعلاهم همة في المثابرة عليه، وأوفاهم خبرة في ميدانه. ولئن وجدت هذه الجائزة، فإن شروط منحها تنطبق بادئ ذي بدء - على الأمير سلمان بن عبدالعزيز.. وما هو بحاجة إلى مثل هذه الجائزة، فإن النفوس

الكبيرة لا تستمد قيمتها من الجوائز، ولكن لا تزال الإنسانية بخير: ما عرفت لذوي الفضل فضلهم، وما كرمت خصائص النبل والخير والمرحمة فيهم.. والأهم - من قبل ومن بعد - هو ما عند الله الذي يكتب الصالحات: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾[١].

ما المناسبة التي سيق فيها هذا الاقتراح؟.

المناسبة هي مهرجان الإيمان والخير والإنسانية الذي أقيم في البوسنة عام ٢٠٠٠م. احتفاءً بـ (العمل السعودي الصالح).. واستقبالاً حميماً لرائده سلمان.

والخلاصة المركزة للمهرجان هي أنه (عمل سعودي صالح) امتد خارج البلاد.

عمل صالح كانت نبتته هاهنا.. وكانت ثمرته الحلوة هناك.. ولا غرو فالبلد الطيب يتنفس طيباً، وبراً، وخيراً، ورحمةً، وعطاءً: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴿٥٨﴾﴾[٢].. يخرج نباته طيباً خيّراً سهلاً ميسراً لا عنت فيه ولا شوك ولا مشقة ولا شح ولا أذى.. ومن ثمار هذا النبات الطيب الذي خرج من البلد الطيب:

(١) الأنبياء: ٩٤.

(٢) الأعراف: ٥٨.

- المساجد التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴿٣٦﴾﴾[1].
- المدارس التي تحتضن الأجيال البوسنية وتعدها للعمل والبناء ومواجهة تحديات المستقبل.
- البيوت التي يفيء إليها ويستقر فيها المشردون ومن دمرت الحرب الفاجرة بيوتهم.
- الطرق التي تيسر حركة الحياة.
- المستشفيات التي ترعى الصحة العامة، وتعالج الجراح والعاهات الناجمة عن الحرب.
- دور الأيتام التي تكفل الأطفال الذين رُوِّعوا بفقدان آبائهم وأمهاتهم.

وغير ذلك من ثمار النبات التي أخرجها البلد الطيب: المملكة العربية السعودية.

وكان الشعب البوسني وفياً.

وتمثل هذا الوفاء في جموعه الشعبية الحاشدة التي خرجت لاستقبال (سلمان الخير) الذي جاء إلى البوسنة والهرسك يحمل نبض الشعب السعودي، ويعبر عن مبادرات القيادة ومروءاتها.

---

(١) النور: ٣٦.

إن التلقائية والحماسة التي ازدانت بها جموع المستقبلين وصفوفهم دليل حي على وفاء شعب البوسنة لمن مدّ له يد العون والنصرة والإنقاذ والإغاثة في ساعة العسرة والروع والكرب الشديد.

وكان من المشاهد التي تستدعي التأثر العميق مشهد الأطفال الذين يحملون الورود، ويحدّقون بأبصارهم في الموكب الذي يقل ضيفهم الإنسان وكأنهم يقولون له: سنذكر كل ما فعلته من أجلنا، وسنحدث بذلك أولادنا وأحفادنا من بعد.

وكان من المشاهد ذات المعنى الأصيل مشهد الأطفال واليافعين وهم يحملون علم المملكة ويلوحون به.. والمعنى الأصيل هنا هو: (أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله) هي الرابط الإيماني بيننا وبين البلد الذي هو أول من جهر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكلمة التوحيد في أرجائه، والبلد الذي لا يزال قائماً على التوحيد.

وكان من المفاهيم الأصيلة الشريفة في المشهد أن كلمة التوحيد مرتبطة دوماً بالرحمة والخير والعمل الصالح.

إن من دوافع الاستقبال المذهل لسلمان بن عبدالعزيز في البوسنة:

أ- مكانة المملكة العربية السعودية في ضمير أبناء البوسنة والهرسك، فقد كانت المناسبة: استفتاءً شعبياً إيجابياً عاماً يترجم مكانة المملكة ووزنها.

ب- شخصية سلمان وحضورها المتجدد في العمل الخيري الإنساني بوجه عام، وفي تقديم الخير للبوسنة.. فمنذ وقوع محنة الشعب البوسني وهو يسمع اسم سلمان يتردد على ألسنة قادته وفي وسائل إعلامه، من خلال إدارته للهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك.

ج- (نزاهة) العون السعودي.. فلدى الشعب البوسني يقين راسخ بأن العون السعودي متميز ومختلف، أي: إنه عون (متجرد من الغرض والهوى والإملاءات السياسية).. فالتجارب البشرية القديمة الحديثة تفيد بأن المشكلة ليست في العون نفسه. فقد تبذل العون هذه الجهة أو تلك وإنما المشكلة في (دوافع) هذا العون وأغراضه غير النزيهة وغير البريئة.

وبالعودة إلى سجله الخيري الإنساني البهي الصالح: فإننا نقرأ في هذا السجل - على سبيل المثال -:

١- فـي عـام ١٩٥٦ ترأس اللجنـة السـعودية المركزية لجمع التبرعـات للشـعب الجزائـري، وهـو يقـاوم الاحتـلال والاستعمار.

وهـو العام نفسـه الـذي ترأس فيـه لجنة التبـرع لمنكوبي السويس في إثر العدوان الثلاثي على مصر.

٢- عـام ١٩٦٧ ترأس اللجنة الشـعبية السـعودية لمسـاعدة مجاهدي فلسطين.

٣- عام ١٩٧٣ ترأس اللجنة الشعبية لإغاثة منكوبي الباكستان، وكان ذلـك في أعقاب الحرب بين الهند وباكسـتان وما نتج عنها من خسائر بشرية ومادية.

٤- في العام نفسه ١٩٧٣ ترأس اللجنة الشعبية لدعم المجهود الحربي في مصـر، على إثر اندلاع حرب ١٩٧٣ بين مصـر وإسرائيل.

٥- عـام ١٩٨٠ ترأس الهيئة العامة لاسـتقبال التبرعات لدعم الشعب الأفغاني في مواجهة الاحتلال السوفيتي لبلاده.

٦- عام ١٩٨٨ ترأس اللجنة المحلية لإغاثه متضـرري السيول في السودان.

٧- عـام ١٩٩٠ ترأس اللجنـة المحلية لتقديم العـون والإيواء والمسـاعدة للكويتيين الذيـن ابتلوا باحتلال نظام صـدام حسين لبلادهم.

٨- عام ١٩٩١ ترأس اللجنة المحلية لتلقي التبرعات للمتضررين من الفيضانات في بنقلادش.

٩- عـام ١٩٩٢ ترأس الهيئة العليـا لجمع التبرعات للبوسـنة والهرسك.

١٠ - عـام ١٩٩٢ نفسـه ترأس الهيئـة العليا لجمـع التبرعات لمتضرري الزلزال الذي ضرب مصر يومئذ.

وهذه نماذج فحسب.

والخير للوطن أولاً:

وسـلمان إذ يركض في طريق الخير من أجل الناس: جميع النـاس في هذا العالم، فإن ركضـه شـمل - بطبيعـة الحال - الساحة الوطنية.

فالفطـرة السـوية.. والصـدق الأخلاقي.. والحـب الغامر للوطـن.. والمعرفة الأوفى بحاجات البيئـة والمجتمع.. ومعيار ترتيـب الأولويـات.. ومنهج الإسـلام.. كل ذلك يقضـي ببذل الخير والدلالة عليه لسكان البلاد قبلاً.

ولا تعارض بين الدائرتين: الخارجية والوطنية.. فـ(النبل الإنساني) واحد تجاه الدائرتين؛ لأن فعل الخير من أرقى الأخلاق، والأخلاق لا تتجزأ، ولا تتناقض.

ولذا نجد (سلمان الخير).. هناك.. وهنا.

ولئن قُدمت نماذج من جهوده في العمل الخيري الإنساني في الخارج.. ففيما يأتي نماذج من جهوده على الساحة الوطنية:

١- فهو يرأس جمعية البر بالرياض، وهي جمعية خيرية تعنى بجمع الزكوات والصدقات من المحسنين وإيصالها إلى مستحقيها.

٢- ويرأس الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمنطقة الرياض.

٣- ويرأس جمعية مرضى الفشل الكلوي بالمنطقة.

٤- ويرأس مجلس إدارة مشروع الأمير سلمان للإسكان الخيري.

٥- ويرأس الجمعية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين.

٦- ويرأس مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، وهو الذي تبنى فكرة المركز ودعمها مالياً بسخاء.. وهذا المركز مختص بالبحوث في ظاهرة الإعاقة على المستويات: المحلية والإقليمية والخارجية.

إلى غير ذلك من أوعية الفعل الخيري وصور العمل الإنساني.

ومما ينبغي التنويه به هو أن هذه الرئاسة ليست (شكلية)، فهو رجل جادّ وصادق إذا تولى أمراً: بذل فيه كل جهد مستطاع: حرصاً على الترقي بالأداء.. وتفنناً في تقديم أكبر قدر ممكن من العطاء الخيري الإنساني للناس.

المنابع الرائقة للعمل الخيري الإنساني

هذا (الهيام) بالعمل الخيري الإنساني عند سلمان: ما منبعه؟.. هي منابع لا منبع واحد:

أ- منبع الفطرة المجلوة المرهفة التي تحس - بعمق وصدق - بمتاعب الإنسان ومآسيه، وتحفز على نجدته وعونه.

ب- منبع الإيمان بالله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

(١) المؤمنون: ٥٧-٦١.

ج- منبع الموقع والبيئة والأرومة والتاريخ.

للمنبت أثره في صنائع المعروف.

وهذه البلاد أرض العروبة، وحقول خصال العرب ومروءاتهم ومكارمهم.

فمن محامد العرب ومفاخرهم السخاء والجود والبذل والنجدة.

تقول عتبة بنت عفيف (أم حاتم الطائي) منتقدة من يحثها على ترك البذل والكرم

لعمري لقد عضني الجوع عضة

فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني

فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم

سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة

فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

ويقول عمرو بن الأهتم:

ذريني فإن الشـــح يا أم هيثـم

لصـالح أخلاق الرجال ســـروق

ذريني وحظي في هواي فإنني

على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

وكل كريم يتقي الذم بالقِرى

وللحـق بين الصـالحين طـريق

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن أخـلاق الرجـال تضـيق

■ ولذلك صحّ أن يقال في سلمان (العربي الأصيل):

خمسون عاماً والذراع طويلة

في البـر والمعـروف والإحســان

د- أما المنبع الأعظم فهو (الإسلام).

حين جاء الإســلام لم يجد قوماً يقتاتون البخل، ويحترفون المنع والشـح، بل وجـد قوماً تهيأت نفوسـهم للبذل، وانطبعت ذواتهم بتقديم الخير والكرم والنجدة والمعروف والبر.

هناك منح الإسلام هذه الطاقة النفيسة الخيّرة المعطاءة: الباعث الحق، والغاية الشريفة، فارتوت جزيرة العرب وأهلوها بنمير البذل، وتأرّجت بعطر الإنفاق النبيل الجميل، وبنسيمه المنقذ والمنعش لكل ذي كرب.

ومن عزائم (فعل الخير) في القرآن:

١- ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[١].

٢- ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ... ﴿١٤٨﴾﴾[٢].

٣- ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[٣].

٤- ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٤].

٥- ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ.. ﴿٣٢﴾﴾[٥].

ولهذا الرصيد النادر الوجود (مروءات العرب ومكارم الإسلام) أثره العميق وإيحاؤه الساطع في مسيرة العمل الخيري الإنساني التي قادها سلمان عبر أكثر من نصف قرن.

---

(١) الحج: ٧٧.
(٢) البقرة: ١٤٨.
(٣) المؤمنون: ٦١.
(٤) آل عمران: ١١٤.
(٥) فاطر: ٣٢.

سطور التمام

من سنن الله التي لا تتخلف ولا تنقطع - قط - أنه - تقدس في علاه - لا يضيع أجر من أحسن عملا.

لقد تعب سلمان بن عبدالعزيز في بناء نفسه، وكدح واجتهد وتيقظ وثابر وطوّل النَّفَسَ في ذلك كله.

لقد أخذ الأمور مأخذ الجد: في توثيق صلته بالله، وفي الحرص على خدمة المُلك بلا كلل، وفي مد جسور الأخوة والمحبة والتفاعل والتعاون مع الناس ورعاية مصالحهم، وفي تنويع مصادر معرفته وثقافته وصقل عقله ومواهبه كافة بأرقى ما تصقل به العقول والمواهب، وفي فهم الإسلام فهماً سديداً منيراً: ثَبَتَ من خلاله على ما يجب الثبات عليه دون تلفُّت ولا تردد ولا مساومة، وانحاز به إلى حركة التقدم المستمر فيما ينبغي الاجتهاد والتجديد فيه: بهمة واستبشار ودأب.

ولقد أثمر ذلك كله - بتوفيق الله وعونه وفضله - (شخصية متكاملة متوازنة سوية رضية فاعلة). نحسب أننا اجتلينا جانباً مضيئاً من جوانبها المتعددة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المكتوبة

١ - القرآن الكريم.

٢ - السنة الشريفة.

٣ - موسوعة إستراتيجيات تطوير مدينة الرياض: إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

٤ - شبة الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز: خير الدين الزركلي.

٥ - الملك الراشد: عبدالمنعم الغلامي.

٦ - الرحلة الملكية: يوسف ياسين.

٧ - عبقرية الحضارة العربية: مجموعة من الكتاب العرب والأجانب.

٨ - لمحات من تاريخ العالم: جواهر لال نهرو.

٩ - الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي.

١٠ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين ابن عبدالسلام.

١١ - السياسة الشرعية: زين الدين بن نجيم الحنفي.

١٢ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية.

١٣ - الوزراء والكتّاب: محمد بن عبدوس الجهشياري.

١٤ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن.

١٥ - تاريخ أوربا الحديث والمعاصر: عبدالفتاح أبو علية. وإسماعيل ياغي.

١٦ - المسلمون في تاريخ الحضارة: ستانوود كب.

١٧ - تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها: جوزيف نسيم يوسف.

١٨ - حرية الفكر: محمد العزب موسى.

٩ - تاريخ الفكر الأوربي الحديث: رونالد سترومبرج.

٢٠ - الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله.

٢١ - أعلام الجغرافيين العرب: عبدالرحمن حميدة.

٢٢ - تاريخ البشرية: أرنولد توينبي.

٢٣ - كيف تحكم أمريكا: ماكس سكيدمور. ومارشال كارتر وانك.

٢٤ - ابن منظور: لسان العرب.

٢٥ - شهاب الدين القرافي: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام.

٢٦- لسراة الليل هتف الصباح: عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري.

٢٧- الأحكام السلطانية: الماوردي.

٢٨- جريدة أم القرى.

ثانياً: المصادر الحية الناطقة:

الأستاذ عساف بن سالم أبو ثنين.